

الشاعر اللبناني شوقي بزيع، وقّع مؤخرا، في منتدى عبد الحميد شومان الثقافي، بالعاصمة الأردنية عمان، ديوانه الشعري الجديد بعنوان "فراشات لابتسامة بوذا".

عن دار "الكتاب الثقافي للطباعة والنشر والتوزيع"، صدر كتاب بعنوان "آيات الله في الآفاق"، للمؤلف بلال إبراهيم الشلول. الكتاب من القطع المتوسط.

مكتبة ديوان بالزمالك، استضافت مساء أمس الخميس، ندوة لمناقشة الطبعة الرابعة من كتاب بسمة عبد العزيز "إغراء السلطة المطلقة" والصادرة مؤخرا عن دار "صفصافة للنشر".

محمد أبي سمرا: الكتابة الميدانية تقودني إلى ما يخالف الأدب الخالص

● أكتب بصعوبة بالغة وبتركيب بالغ أيضا ● الفاعل الأكبر في إدارة المأساة اللبنانية الآن هو حزب الله

ولد محمد أبي سمرا عام 1953 في قرية شبعا اللبنانية، تخرج من دار المعلمين عام 1977 وبدأ يعمل في الصحافة الثقافية إلى جانب عمله بالتعليم ككثير من أقرانه المدرسين الصحافيين الملتزمين بالقومية والعروبة والأحزاب العقائدية. نال شهادة دبلوم في علم الاجتماع الثقافي عام 1984، وكانت أطروحته حول الأخوين رحباني وفيروز وتأثيرهم في الحياة اللبنانية. بعدها سافر إلى ليون عام 1985 هربا من حمى الحرب. في هذا الحوار يحدّثنا أبي سمرا عن مناخاته الإبداعية واتصالها بالمعيش اللبناني والثقافي العربي.

عبد الحاج

❑ في فرنسا كتب محمد أبي سمرا روايته الأولى "بولين وأطيافها"، تلتها الأعمال الآتية رواية "الرجل السابق" و"سكان الصور" و"كزابلانكا بيروت كردستان" و"موت الأبد السوري، شهادات جيل الصمت والثورة" و"أقنعة المخلص، شهادات في الشيعة العونية وإمامها".

سيرة روائية

قد يكون ضيفنا من أكثر المجربين في مختلف أنماط الكتابة "رواية وقصة وتحقيقات وشعرا"، وقد يكون كل كتاب يمثل تجربة خاصة مخالفة للتي سبقتها، لكن هل تبقى كل هذه المحاولات جزءا من الخوف في الوقوع في نمط معين؟ يجيب محمد أبي سمرا قائلا: "كتبت الشعر في بداية مراهقتي الكتابية، ثم انتقلت إلى كتابة الشهادات والتحقيقات الصحفية في ثمانينات القرن الماضي، وخلال إقامتي سنتين في فرنسا في أواسط الثمانينات كتبت روايتي الأولى "بولين وأطيافها"، ونشرت في التسعينات، ثم كتبت روايتين أخريين "الرجل السابق" (1995) و"سكان الصور" (2003).

ويضيف قائلا: "في الأثناء تطورت في كتابات صحفية ميدانية عن ظواهر الحياة اليومية والاجتماعية في لبنان، وكتبت أيضا سيرا لأشخاص عاديين، حياتهم تعبر عن ظواهر اجتماعية وسياسية، لكن كتابة هذه التحقيقات والسير كانت معاكسة للكتابة الصحفية السائدة في أنها تروي وقائع الحياة اليومية ومصائر الأشخاص والفئات الاجتماعية على نحو روائي. في عام 2004 صدر لي كتاب "بلاد المهانة والخوف"، وهو عن رحلات في شمال سوريا وكردستان العراق والمغرب. وفي كتابي "أقنعة المخلّص، شهادات في الشيعة العونية وإمامها" هذا وسيرة ظاهرة ميشيل عون السياسية، بعد عودته إلى لبنان عام 2005 وخروج أبرز ناشطي تياره على منعطفه في اتجاه حزب الله. يروي هذا الكتاب ظروف نشأة التيار العوني المسمى التيار الوطني الحر من خلال سير أبرز ناشطيه".

ساحل النصارى

في الشأن ذاته، يواصل أبي سمرا قوله: "كتابي عن طرابلس "ساحة الله ميناء الحداثة" الذي صدر عام 2010 يروي وجوها من الحوادث الطرابلسية ما بين خمسينات القرن العشرين والعقد الأول من الألفية الثالثة. أما كتابي "موت الأبد السوري، شهادات جيل الصمت والثورة" فكنت قد بدأت جمع مادته وكتابتها منذ جلاء الجيش الأسدي، وهو يروي سيرا لسوريين تعرضوا للسجن والمطاردة في أزمنة مختلفة، لكن هذه السير حاولت أن تروي الحياة اليومية والاجتماعية لهؤلاء الأشخاص في بيئاتهم وعائلاتهم ومدنهم، وهذه السير لم تكتمل إلا بعد انطلاق الثورة السورية، إذ أنني استكملت هذه السير بأخرى لناشطين سوريين في السنة الأولى من الثورة فروا إلى بيروت، والآن أنا بصدد إعداد كتاب عنوانه "ساحل النصارى- ضاحية حزب الله"، وهو يروي وقائع يومية ميدانية عن تحوّل القرى الساحلية التي تحولت ضاحية لبيروت بدءا من الخمسينات ثم مربعا أمنيا لحزب الله في النصف الثاني من الثمانينات. هذه التقلبات بين الرواية الروائية والرواية السيرية الاجتماعية، غير مقررة سلفا، و قد قادتني إليها الظروف والتجارب الكتابية والعمل الصحافي. في الكتابة الروائية الأدبية العربية غالبا ما يخليها التصور الأدبي العربي للكتابة من مادتها الحية. الأدباء العرب يتصورون أن الكتابة الأدبية هي إنشاء لغوي أكثر منه ملامسة لمصائر أفراد وشخصيات ومجتمعات. أنا أكتب وكأنني أسلمت نفسي للكتابة الميدانية تقودني أحيانا إلى ما يخالف الأدب الخالص الذي لا أعرف ماذا يكون".

مرآة للحرب

وعن مجموعة التحقيقات الصحفية عن طرابلس، وهل قصد أبي سمرا إيجاد بداية أو أرضية مختلفة عن بدايتها الأولى؟ وهل أن كتاباته التي عادت إلى الموضوع والمكان وتفاصيل الحياة، انحراف عن أصل المدينة؟ يقول: "كما كُتب في مقدمة كتابي عن طرابلس، أنا لم أكن أعرف الشيء الكثير عن هذه المدينة، لقد كتبت عنها لأتعرف إليها. نتصور أحيانا أنهم لا يكتبون إلا ما يعرفونه. أنا أكتب عن المدن والأماكن والأشخاص كي أتعرف إليهم. ما دفعني إلى الكتابة عن مدينة طرابلس حادثة تابعتها في المدينة عام 2000 وهي ظهور خلايا لمجموعات سلفية فذهبت إلى زيارة المدينة زيارة صحفية ثم جرتني الحوادث والعمل الصحافي إلى استطلاع ميداني واسع لأحوال المدينة خلال الحرب (1975– 1985)، فسجلت سيرا لطرابلسيين يزيد عددها عن العشرين وهي سير تفصيلية عن الحياة المدينية في زمن الحرب وما قبلها وصولا إلى ظهور الجماعات الإسلامية فيها، وهذا الكتاب هو كتاب عن مجتمع الحرب في طرابلس ويشكل مرآة لهذا المجتمع في لبنان عموما. تعلمت أن أستطيع التعرف على بناء كتابي لتركيبة مجتمع ما، من خلال سيرة شخص واحد ولد ونشأ وعاش في هذا المجتمع هذا ما فعلته في تسجيلي لسير وشهادات عن طرابلس".

ويضيف قائلا: "إن سيرة شخص واحد يمكن كتابتها بصيغ لا متناهية العدد وكل واحدة تختلف عن الأخرى. أعني في هذا أن الشخص نفسه يروي سيرته في كل مرة بشكل مختلف. كل يوم تجربة في حياتنا تغير نظرتنا إلى أنفسنا وإلى سيرنا".

وجه بيروت

بيروت، هذا الفضاء الحميمي، مدينة الألفة والتحادث بين الأشياء، بزوارها ومقاهيها وأماكنها التي تمد يد الصداقة، هل تركت أثرا في كتابات أبي سمرا؟ يجيبنا محدّثنا بالقول: "أنا أعيش في بيروت منذ ستينات القرن الماضي، ولكنني لا أستطيع أن أستقر على وصف أو صفة تفصيلية واحدة لأي لحظة من لحظات حياتي في هذه المدينة الحميمة والألفة والتحادث في بيروت مسائل تخص كل شخص يعيش فيها. لكن هناك صورة نمطية كثيرة عن بيروت (الحداثة والتفتح والحرية.. إلخ..) أنا أرى أن بيروت تتميز بسفور النساء فيها قياسا إلى النساء في المدن العربية المجاورة، هذا السفور النسائي هو صنيعة المسيحيين لكن هذا السفور لا يعني أن النساء السافرات غير تقليديات في نظرتهن إلى حياتهن وأنفسهن والمجتمع والتقاليد. إنه سفور الحداثة النمطية التي لا تعيد تكوين الأشخاص من جديد ولا تغير كثيرا نظرتهم إلى أنفسهم. حتى أنني أحيانا أحسب أن هذا السفور موضة أو دُرجَة باعثها الاستعراض".

> ◄ حزب الله صنيعة بيولوجية إيرانية في المجتمع الشيعي اللبناني ولديه طموح في أن يحكم لبنان، وهو الآن يقاتل في سوريا بأوامر إيرانية



أبي سمرا: كتبت سيرة أشخاص عاديين هم صورة للمجتمع

رواية العالم

كتاب "طرابلس ساحة الله وميناء الحداثة" هل كان تحت تأثير هذا التحوّل الذي يجري في الواقع اللبناني، أم تحت تأثير ظرف آخر، في هذا السياق؟ يقول محمد أبي سمرا: "لا أعرف إن كانت هناك كتابة تفرق بين المعيش والمتخيل، فيما نحن نعيش دقائق يومياتنا، يجري في أذهاننا مونولوج دائم تختلط فيه الصور والأفكار والهذيان والوقائع، والكتابة هي القدرة على المزج العضوي بين هذه الصور والمونولوجات والأفكار والمشاهد والوقائع. أنا لا أعرف ما هي الكتابة الأوتوماتيكية، أنا أكتب بصعوبة بالغة وبتركيب بالغ أيضا؛ فلكي تنقل حادثا وقع لك مع شخص ما عليك أن تروي الحادثة رواية واقعية محايدة وأن تعيّن موقع الشخص منها، وأن تنظر في تصوره ودوافعه كأنك إذ توقف الزمن تفتحه على نحو بانورامي لكي تروي العالم في لحظة واحدة هذا العمل يتطلب حرية في اختيار زاوية النظر وتعددها، فشهادات الكتاب الأدباء عن الحوادث والوقائع يكتبونها من تصورهم عن أنفسهم أنهم أدباء.

مأزق الثورات

بعد مرور قرابة السنتين على بداية الثورات العربية لضيفنا رأي عن الأسباب العميقة لتعثر المراحل الانتقالية في دول الربيع العربي، وأبرز التحديات التي تعيشها دول ما بعد الثورات العربية، وخاصة المشهد السوري؛ يقول محمد أبي سمرا: "لا أملك مقدرة على الخوض في مثل هذه المواضيع، لكني أرى أن ما سميته تعثر الثورات العربية مسألة موضوعية. فحين بدأت الثورات العربية نظرنا إلى مشاهدها كصور وغاب عنا تماما أن المجتمعات ليست صورا. يستطيع آلاف الناس في لحظة ما الخروج إلى الساحات والشوارع ورسم مشهد احتفالي كرنفالي لخروجهم هذا، لكن بعد هذا المشهد كل شخص من المتظاهرين يعود إلى مسار حياته. كيف يمكن لشخص بلغ الخمسين مثلا أن يقف فجأة ويقول: "أريد أن أغير حياتي"، أظن أن بلدان الثورات العربية وقفت وقالت أريد تغيير هذا الواقع، لكن كيف أستطيع أن أغير؟ هذا هو مأزق الثورات العربية؛ بعد تظاهرات المشهدية انكشف المجتمع الراكد منذ خمسينات القرن العشرين، والذي كشف هو عدم وجود فاعل سياسي متكون ومنجز في هذه المجتمعات".

> ◄ الأدباء العرب يتصورون أن الكتابة الأدبية هي إنشاء لغوي أكثر منه ملامسة لمصائر أفراد وشخصيات ومجتمعات

ويضيف قائلا: "أحيانا يظهر هذا المكون مجسدا في الإسلاميين الذين وصلوا إلى الحكم في مصر لسنة واحدة، ثم قام المصريون والجيش بخلعهم من السلطة فازداد انكشاف غياب الفاعل السياسي الشعبي غير الإسلامي في مصر، فعاد المصريون إلى تفويض الجيش في إدارة أمور بلادهم، وبذلك أصبح شبان الثورة وميدان التحرير في العراء هذا المثال المصري يختلف عما يحدث في سوريا مثلا، فنظام حافظ الأسد يبدو من أعتى الأنظمة في البلدان العربية والمجتمع السوري مفكك ومفتت في وجه هذا النظام الشرس".

سياسة الهذيان

وعن لبنان ووضعه الراهن، في ظل الانقسامات والتطورات الأخيرة التي ذكرتنا بسنوات الحرب الأهلية، وعن بداية مأساة جديدة أصبحت تدق أسواره؛ يقول أبي سمرا: "الفاعل الأكبر في إدارة المأساة اللبنانية الآن هو حزب الله الشيعي "التوتولاري"، هذا الحزب هو صنيعة بيولوجية إيرانية في المجتمع الشيعي اللبناني ولديه طموح في أن يحكم لبنان، وهو الآن يقاتل بأوامر إيرانية في سوريا، متخيلا أن المشرق من إيران إلى بيروت يمكن حكمه بحلف شيعي- علوي يلحق بها الأقليات في هذه البلدان، هذا التصور لدى حزب الله إمبراطوري وهذياني وتغذيه الانتصارات الكارثية التي حققها حزب الله في 2000 وبعد 2005".

المغرب يستحضر ذكرى عبد الله راجع

تم، مؤخرا، بالمسرح الوطني محمد الخامس بالرباط، تقديم المجموعة الكاملة لمؤلفات الشاعر المغربي الراحل عبد الله راجع (1948–1990)، التي طبعتها وزارة الثقافة ضمن منشوراتها للأعمال الكاملة للشعراء المغاربة.

❑ **الرباط** - تتضمن هذه المجموعة، التي تقع في ثلاثة أجزاء، الأعمال الشعرية الكاملة، وهي "الهجرة إلى المدن السفلى" و"سلاما وليشربوا البحار" و"أياد كانت تسرق القمر" و"وردة المتاريس" و"أصوات بلون الخطى"، وكذا أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه في الآداب وعنوانها "القصيدة المغربية المعاصرة .. بنية الشهادة والاستشهاد". وكانت دواوين "الهجرة إلى المدن السفلى" صدرت عن دار الكتاب عام 1976، و"سلاما وليشربوا البحار" عن منشورات الثقافة الجديدة عام 1982، و"أياد كانت تسرق القمر" عن دار النشر المغربية عام 1988، فيما صدرت أطروحة راجع لنيل الدكتوراه عن دار عيون المقالات في جزأين عامي 1988 و1989.

وبعد تلاوة قصيدة من شعر عبد الله راجع، قدم الشاعر والباحث صلاح بوسريف مداخلة أبرزت أن الاحتفاء بتجربة راجع عبر طبع وزارة الثقافة لأعماله "حدث شعري بامتياز في المغرب" بعد تجاهل استمر أزيد من عشرين سنة، إذ كان راجع من الشعراء الذين عملوا على تحديث الشعر المغربي الحديث، و"لا يمكن المرور عليه عند الحديث عن الثقافة المغربية بشكل عام".

كما تحدث بوسريف عن انخراط راجع في التجربة الكاليغرافية مع الشاعرين محمد بنيس وأحمد بلبداوي، وتأسيسه لمجلة "رصيف"، وتفكير كل من راجع وبوسريف والشاعر حسن نجمي في تأسيس "بيت الشعر" في المغرب، وعن اتخاذه لشخصية الشكدالي في الفقيه بن صالح قناعا شعريا و"معادلا موضوعيا" لشخصيته، وعن بيان الكتابة وبيان "الجنون المعقلن"، قبل أن يتلو قصيدة راجع – الوصية لزوجته فاطمة بعنوان "أمين راجع".

وفي مداخلة موزونة على غرار ما كان يحبه عبد الله راجع، تحدث صديقه ومجايله الشاعر محمد عنيبة الحمري عن رحلة مع عبد الله راجع إلى العراق وحواراتهما ونقاشاتهما وعن طباع راجع والتزامه ورفضه "للجيل الممسوخ" المنفصل عن واقعه، وتعرضه للعنف اللفظي بعد قراءته لقصيدة عن "السموف" في قاعة عبد الصمد الكنفاوي بالدار البيضاء.

يذكر أن عبد الله راجع، المولود بمدينة سلا، التحق بالتجنيد العسكري الإجباري بمدينة الحاجب، وأحرز على شهادة الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سنة 1972، كما حصل على دبلوم الدراسات العليا في الأدب المغربي المعاصر من كلية الآداب بالرباط سنة 1984.

واشتغل راجع أستاذا بمدينة الفقيه بن صالح ثم حارسا عاما بالتعليم الثانوي بالدار البيضاء، فأستاذا بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بنفس المدينة. والتحق باتحاد كتاب المغرب سنة 1976، قبل أن ينضم إلى هيئة تحرير مجلة "الثقافة الجديدة" ابتداء من عددها التاسع سنة 1978.

ويعدّ الراحل عبد الله راجع أحد القامات الشعرية الهامة، في المغرب وحتى على مستوى الوطن العربي، وهو أحد الأقلام التي تركت لنا زادا معرفيا ثريّا. ورغم التجاهل الذي لقيه عبد الله راجع، إلا أن صورته مازالت في الوجدان المغربي، وما هذه اللفتة إلا فرصة لاستذكار أسماء أعطت كثيرا للمغرب وللأدب العربي، وأثّرت في المشهد الثقافي وفي خارطة الشعر العربي المعاصر.

النقد والنقد الذاتي

ليث فائز الأيوبي

❑ متى نتحلى بجرأة تقبل النقد وممارسة النقد الذاتي، واحترام الرأي والرأي الآخر .. بصدور رحبة لا بعدوانية ؟

متى نتحلى بصفة الإصغاء بود وبدون تحامل أو هواجس ارتيابية مسبقة، لمن يقوم بوضع إصبعه على الجرح، بدلا من الوعيد والتهديد والتلويح والتشابك بالأيدي .. ؟

متى يكون بمقدورنا احتواء هذا النفر الضال من ذوي العاهات وأصحاب الشعور الطاغي بالنقص ممن تسلقوا كالنباتات الضارة والفطريات على جدران واقعنا الثقافي بضربة نرد في مقهى لا أكثر؟

فهذه التصرفات الصبيانية لا تنم إلا عن ضعف، ولا تليق إلا بمن لا يعرف لغة الحوار، ويخشى المواجهة أيا كانت هذه المواجهة، ولا يقيم وزنا لأي ثقافة محترمة ورصينة.

ثمة اتحادات ونقابات ومنظمات مجتمع مدني ومؤسسات متلكئة في أعمالها، ما إن يتم تسليط الضوء على أي بقعة نفط سوداء طافية على سواحل مديرياتها أوهيئاتها أو دورياتها، حتى تنتفخ أوداج حراس "عتباتها المقدسة" من اشباه المتعلمين وإن حشوا جيوبهم وأمعاءهم بالشهادات العالية، ويتم تحشيد أساطيلهم وقطعاتهم ونوازعهم الشريرة وأحقادهم الدفينة ومهرجيهم، للنيل من هذا الرأي الحر أو ذاك ووصمه بالتحامل والتشهير والهدم و"قذف المحصنات" .

وليت الأمر يتوقف على هذه الاتهامات المضحكة وحسب، بل إن بعض الإدارات تعتقد – واهمة – أن المساس بها بهدف الإصلاح وكشف الغبار المتراكم تحت السجاجيد هو نوع من أنواع هتك الاعراض وفقدان العذرية!

حتى يبدو وكأن الأمر فيه مساس بأعراف عشائرية لا يمكن التهاون معها أو خرقها، متناسين أننا نعيش في دولة مدنية، لا في قرية نائية يحكمها سائسو خيول أو باعة حمير وأعلاف.

وهم – أي أولئك المتلكئون – لن يغفروا أبدا أو يتناسوا من يجرؤ على دس أنفه في اكوام الغسيل الوسخ، وكأنها مسألة عائلية، لا ينبغي "للغرباء" أن يطلعوا على عورة "الشرف الرفيع "ولا حتى سحب الشراشف الموحلة عنهم ولا عن أعمالهم الهاجعة في أعماق الظلام.

لهذا على الكاتب الحر الذي يكون على الضد من كل هذه الطحالب الطافية على مستنقعات مترامية من الركود وعدم الكفاءة والأورام الخبيثة، أن لا يستغرب أبدا أن يعامل بمنتهى الجفاء وعدم الموضوعية من قبل المحيط، وأن يحارب بشتى الوسائل والطرق الخسيسة، بذريعة الحفاظ على رداءة النسل من أي دماء نقية طاهرة، ربما تتسلل إلى عروق مئات الجثث المستلقية بلا جدوى وراء مكاتبها، وهي تدير" مقبرة المهنية والكفاءات المعطلة" مدعومة بجيش جرار متناسل من النعوش والأكفان والشواهد المتآكلة.

إنها مجرد جولة عابرة في مقبرة مفتوحة على مصراعيها أمام السماء .. ليس إلا.

باختصار

◄ تستضيف مملكة البحرين في الثالث من شهر ديسمبر القادم، المهرجان الخليجي المسرحي الثالث لذوي الإعاقة وذلك بصالة البحرين الثقافية.

◄ أتيليه القاهرة، يعقد يوم الاثنين، الثاني من ديسمبر-كانون الأول المقبل، ندوة لمناقشة رواية "موسم الكبك" للروائي والباحث الأدبي أحمد إبراهيم الشريف.

◄ عن "مؤسسة الدراسات الفلسطينية"، صدر كتاب "سجلات السلب: أملاك اللاجئين الفلسطينيين والصراع العربي – الإسرائيلي" تأليف مايكل ر. فيشباخ، وقد ترجمه عن الإنكليزية سميح حمودة.

لمراسلة المحرر
culture@alarab.co.uk